المضامين الفكرية في شبكات التواصل الاجتماعي
بين البعد الميثولوجي والتوظيف الأيديولوجي

الدكتور لبصير نورالدين

جامعة امحمد بوقرة بومرداس ، الجزائر

الخميس ١٠ شعبان ١٤٣٩هـ - الموافق ٢٦ نيسان ٢٠١٨م

الملخص

في ظلّ التحول الذي أصاب شبكات التواصل الاجتماعي من مجرد هواية للتواصل الثقافي، والعلمي، والفني إلى قوة مؤثرة على مستوى صناعة المضامين الفكرية، وتوجيهها، مع التقدم الإلكتروني الذي نشهده اليوم تبقى مواقع التواصل أكثر الوسائل إغراء، وتشجيعاً لفئات المجتمع، فهي فرصة للتعبير.

سعى الباحث إلى دراسة تأثيرات مواقع التواصل في توجيه المضامين الفكرية، لأنّها تعتبر التحدي الأكبر للمجتمعات العربية، خاصة في سياق التحوُّلات التي عرفتها، لترشيد استعمالها لأنّها تُشجِّع المستخدم على الذوبان، والانصهار في عالم الرَّقْمَنَة. واتبع الباحث المنهج التحليلي لتحليل المضامين المدونة بالعربية في شبكات التواصل، تحديداً الفيسبوك؛ لأنّه منهج يتيح للباحث تحليل سلوك الأفراد، ومواقفهم من خلال المواد التي يكتبونها، أو يقولونها.

مقدمة:

نحن في زمن تجددت فيه حوامل المعرفة، فلم يعد الاهتمام بالمضامين لدى جيل اليوم في الكتاب، والمصحف، وفي المدرسة، والجامعة، والنوادي الأدبية..؛ خاصة ما يراه من عمق التقنية، إذ أصبحت في المدونات، ومواقع التواصل، والبرامج الافتراضية، حتى غدت المعبود الذي لا يستغنى عنه، وإذا كان لكلّ عصر علامة فارقة ومميّزة فإنّ هذا العصر هو مجتمع المعلومات لما يشهده من ثورة رقمية هائلة قد غيَّرت كثيراً من المفاهيم، وزحزحت كثيراً من القناعات، والميولات، وغيّرت كثيراً من المرجعيات، والاتجاهات، والتي كانت تبدو ثابتة، ومستقرة، ونَسفت كثيراً من النظريات، والأطروحات، وأسقطتْ كثيراً من اللغات، والتيارات، لذا أعتقد أنّ من المفيد اليوم التوجه إلى تحليل ودراسة العلاقات الرابطة بين مواقع التواصل الاجتماعي، والأفراد لاستجلاء دوافع الارتباط بها خاصة مع قلّة الدراسات التي اشتغلت على استنطاق مضامين خطابات الفيسبوك بوصفها فضاء جماهيرياً يمضون فيه فترات طويلة لأنّ الدراسات غالباً ما كانت تركز على الجوانب التقنية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يستوجب منا التفكير في كيفية قراءة هذه المضامين الموظّفة في هذه المواقع التي تلاشت فيها الحدود، وأزيلت منها القيود، خاصة في ظلّ تأثيرها المتنامي على أفراد الأمة وقد تسللت إلى جميع جوانب حياتهم مؤثرة على طريقة تفاعلهم، وتفكيرهم، ولغاتهم.

أهداف الدراسة:

– في ظلّ التحول الذي أصاب شبكات التواصل الاجتماعي من مجرد هواية للتواصل الثقافي، والعلمي، والفني إلى قوة مؤثرة على مستوى صناعة المضامين الفكرية، وتوجيهها؛ كلّ ذلك يدعونا إلى تحليل بنيتها.

– مع التقدم الإلكتروني الذي نشهده اليوم تبقى مواقع التواصل أكثر الوسائل إغراء، وتشجيعاً لفئات المجتمع، فهي فرصة للتعبير، والخطابات التي تطارده، وسهولة التعامل معها، وما تمنحه من خطابات تدفعنا لمقاربتها.

أهمية الدراسة:

– دراسة تأثيرات مواقع التواصل في توجيه المضامين الفكرية، لأنّها في اعتقادي التحدي الأكبر للمجتمعات العربية، خاصة في سياق التحوُّلات التي عرفتها، لذلك نسعى لترشيد استعمالها لأنّها تُشجِّع المستخدم على الذوبان، والانصهار في عالم الرَّقْمَنَة.

إشكالية الدراسة: في ظلّ التقدم التكنولوجي، وما صحبه من تحولات رقمية عميقة حتى أصبح التواصل الاجتماعي من أهم وسائل التواصل الثقافي، والحضاري، والمعرفي في السنوات الأخيرة، وبناء على ما سبق تنبني إشكاليتنا التي نودّ مقاربتها على جملة من الإشكاليات التي نرى أنّها تشكّل المنطلقات الأساسية لمادة هذه الورقة البحثية: كيف تمّ توظيف المضامين الفكرية، واللغوية المدونة بالعربية؟ هل يمكن قراءتها بمعزل عن الرسالة، والقيم الأيديولوجية التي تحملها؟ وهل للسياقات المختلفة تأثير في توجيه المضامين؟ إنّ قراءة سياقات مضامينها، وأهدافها، وطرائق استخدامها، ومستوياتها تساعد على تفكيك بنياتها، ما هي الأطر المرجعية التي تُحدِّدها؟ إذ على الرّغم من أنّ وسائل التواصل

كتقنية سهَّلت التواصل، وذلَّلت كثيراً من الصعاب، حتى صارت في متناول الجميع، غير أنّها من جانب آخرَ ساهمت في فشوِّ الآفات الأخلاقية، وتضييع كثير من القيم، وأفضت إلى مفاسدَ عظيمة أضرَّت بالمجتمعات، فما هي تأثيراتها؟ وفي ظلّ التطور التكنولوجي؛ وتحديات الإدارة الإلكترونية التي تزداد يوماً بعد يوم، هل نحن أمام نسق أيديولوجي جديد؟

المنهج المتبع في الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج التحليلي لتحليل المضامين المدونة بالعربية في شبكات التواصل، تحديداً الفيسبوك؛ لأنّه منهج يتيح للباحث تحليل سلوك الأفراد، ومواقفهم من خلال المواد التي يكتبونها، أو يقولونها، وهو من المناهج التي تناسب هذه الدراسة، ويساعد على تحديد واقع المضامين، ومن ثمّ جمعها، وتحليلها، ممّا قد يساهم في تشخيصها، لأنّ تحليل المضمون يعدّ أداة وصفية لدراسة محتويات الخطابات، وقد استخدم الباحث التعبير الكيفي لوصف المضامين الموظّفة، وكيفية استخدامها بين البعد الميثولوجي، والتوظيف الأيديولوجي في سياقاتها الزمانية، والمكانية، فالتعبير الكمي يعطينا وصفاً رقمياً يوضح لنا مقدار حضورها، أو حجمها ثمّ العمل على وصف المحتوى الظاهري للمضامين مع استكشاف مضمرها النّصي، والسياقي، ودرجات تأثيرها على اللغة العربية؛ للوصول إلى استنتاجات تساهم في فهمها، وتفسيرها، وتأويلها.

مواقع التواصل الاجتماعي بين الاستراتيجية والوظيفية: مع التوجه المتنامي نحو الوسائط المتعددة سنتجاوز الحديث عن الكثير منها لنركز حديثنا حول الشبكة الفيسبوكية، وقد تمّ ترجيح هذا الاختيار لاعتبارات تفرضها ضرورات المرحلة الراهنة، فالفضاء الأزرق أصبح الوسيلة الأولى التي فرَضت

نفسها على النّاس حتى لا تكاد تجد واحداً إلا وله صفحة على إحدى هذه الوسائل، إذ أصبح الفيسبوك يحتل المرتبة الأولى، من حيث عدد زواره، وبوصفه شبكة تواصلية تجمع كلّ فئات المجتمع، حيث تمارس علاقاتها التواصلية بكلّ حرية.

هذا الاستقطاب يمكّننا من رصد الخطابات الدينية المتنوعة، ومن هنا تبرز بوضوح الحاجة الملحة لقراءة هذه الخطابات التي تشكل المرجعية الأيديولوجية للخطاب الديني الفيسبوكي، وتمنحه مشروعيته كخطاب تمثل فيه المضامين مادة دسمة تستهوي الدارس والباحث باعتباره خطاباً ليس عادياً، لذلك نحاول في هذه الورقة استنطاق الخطابات الدينية المتعددة الفيسبوكية التي تحمل في ثناياها آفاقاً واسعة تدفع الدارسين للوقوف على الخطابات الموظفة في آليات التواصل الجديدة التي رافقت التطور الرقمي.

فقد وصفت هذه التحولات الرقمية الكبيرة والتغيرات العميقة التي حدثت في المجتمعات نتيجة للتدفق الحر للمعلومات بالثورات العملاقة؛ الأمر الذي أدى إلى التفكير فيما ستكون عليه المجتمعات في الحقبة الزمنية القادمة، خاصة في ظلّ ما بات يعرف اليوم بوسائل الإعلام الجديد في واقع يمثل التدفق الحر للمعلومات أبرز سماته، حيث تؤثر هذه الشبكات على كثير من أفراد المجتمع، ومن هذا المنطلق تحاول هذه الورقة البحثية توجيه المساقات المعرفية لرسم صورة عن المضامين، ومع تنامي ظاهرة الإقبال على مواقع التواصل الاجتماعي حتى وصف بأنّه البديل الإعلامي الذي يمارس فيه النقد وتطرح فيه الأفكار، وتناقش فيه الموضوعات الحساسة، فنحن بأمس الحاجة للوقوف عليها، إذ لم يعد الإنسان المعاصر اليوم قادراً على الاستغناء عن كثير من مكاسب

التكنولوجيا الحديثة ومنجزاتها[1]، حتى غدا التواصل بغير التقنية الحديثة أمراً مستحيلاً[2].

لا نريد أن نناقش أهمية أو سلبية مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، لأنّه -في اعتقادي- هذا تحصيل الحاصل؛ لأنّ حلقة النقاش تجاوزته، حتى وإن كانت هذه الوسائل تتجاوز في نجاعتها الإعلام التقليدي وتفوقت عليه في أداء الرسالة المطلوبة، ولكن الذي يهمنا على الأقل في هذه الدراسة لن يكون التركيز على وسائل التواصل بحد ذاتها، لأنّ الوسائل تأخذ حكم المقاصد، وكلّ شيء إذا لم يكن مقصوداً لهدف سام يبقى عبثاً وضياعاً، وكلّ ما يشذ عن بناء المقاصد هو جهد مهدر وعمل ضائع شارد، ولما كان الفيسبوك أكثر الوسائل الرقمية الذي يشكل ظهورها ثورة على السائد مهما اختلفت تموضعاته، حيث أسهم في تغيير الوعي نحو تقبل المتاحات التكنولوجية وما تطرحه؛ سنركز على طريقة استخدام المضامين الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي في بناء التصورات التي توجه وتؤطر تلك الرسائل، لذلك أعتقد أنّه من الضروري اليوم أن نمحور السؤال: كيف ينبغي معالجة المضامين الفكرية المكتوبة باللغة العربية في ظلّ التقنية؟ وعلى العقل العربي اليوم أن يتأهب لمعركة أخرى لا تقل حدة عن معارك مضت، إنّنا نعيش في زمن الحروب الناعمة لتغير المجتمعات لغوياً، وثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، ودينياً...

إنّنا عندما نبحث في المضامين الموظّفة في وسائل التواصل فلسنا نقصد الأخذ المنفعل السالب، أو الأخذ الحيادي الطائش، أو التقبل الساذج غير النقدي للواقع والمحيط، فنحن نعيش في عصر الكذابين المحترفين، وعصر التزييف

---

١. المعرفي، الأيديلوجي، الشبكي، تقاطعات ورهانات: كمال عبداللطيف ٢٠١٢، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيرت، الدوحة، ص:٥٩.

٢. الإعلام ليس تواصلاً: دومينيك وولتون ٢٠١٢، دار الفارابي، بيروت، ص٧٢.

تديره وسائل التواصل، وعصر الترويج للباطل تردده وسائل التواصل الاجتماعي ليل نهار، ونقرأ التضليل يطبع على أنّه علم، والانحرافات تروج على أنّها نظريات، والأساطير على أنّها حقائق، والعمالة للدول الأجنبية تمارس على أنّها شرف، وولاء للقيم الإنسانية وعلى أنّها معلم من معالم الحضارة، والكفر على أنّه حرية، وتفتح، وأيديولوجيات العنف، والتعصب، والزندقة الفكرية والمعرفية على أنّها حرية تعبير، وخطاب الكراهية، وتنميط الهويات، والثقافات، وتأجيج الصراعات الاجتماعية، ومن هنا فإنّ التعامل مع هذه الشبكات يحتاج الى مساحة معرفية واسعة بكل آلياتها، وتقنياتها، لأنّ حركة العولمة اليوم تعتمد توظيف البعد المعلوماتي المنبثق عن سهولة وحرية التواصل والتحرر من كل القيود والضوابط، ومن يملك التقانة وتكنولوجية المعلومات يملك قوة تنميط العالم وفق الرؤية التي يريد، ومن هنا يمكن الحديث عن صراع الهويات والثقافات واللغويات والمعلومات... كلّ ذلك كان له انعكاس على ما يكتب وينشر، وما يبث من معلومات وأفكار ومضامين وأيديولوجيات في مواقع التواصل.

المضامين وتأثيرها على اللغة: إنّ اللغة الممارسة في مواقع التواصل ليست ممارسة تكنولوجية أفرزتها الوسائط التواصلية الجديدة التي تعمل داخل بيئة تواصلية متغيرة تسهم في تشكيلها تقنيات المعلومات، والاتصال فحسب، ذلك أنّ اللغة العربيّة -بعد ثورات التكنولوجيا الرقميّة- لم تعد كما كانت، فقد أدّت تلك الثورات إلى إحداث تغيير جذري في نمط الكتابة التقليدية المتعارف عليها، فباتت الكتابة بالأرقام، والعاميات، واللغات الأجنبية، فاللغة ليست آلة تؤدي وظيفة الآلة دون تكريس الأبعاد الأيديولوجية التي تستتبع في اللحظة التي يكتب فيها الخطاب.

لا ينبغي علينا قراءة مضامين الخطابات المدونة بالعربية في مواقع التواصل الاجتماعي على أنّها مجرد نسق لغوي، أو مجرد شيء من الأشياء؛ بل هو صراع من أجل الحصول على السلطة كما يرى فوكو[1].

---

١. انظر: نظام الخطاب: ميشال فوكو، ترجمة محمد سبيلا، ط٢، ٢٠٠٧، دار التنوير، بيروت، ص٤٩.

إنّ ظاهرة استخدام مواقع التواصل أصبحت تحتل الصدارة في عملية التواصل؛ بل هي أهم وسيلة على الإطلاق، وقد صحب ذلك الاستعمال ظاهرة خطيرة تهدد اللغة العربية، فقد تغير الجانب اللغوي إلى الصورة والرمز والإشارة، وأصبحت الصورة أبلغ؛ كلّ ذلك يدفعنا إلى إعادة النظر في الخطابات الممارسة على مواقع التواصل محل هذه الدراسة، فالخطابات لم تعد تعتمد على اللغة المكتوبة، أو الشفهية؛ بل أصبحت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتكنولوجيا، والمتغيرات الجديدة إذ تستخدم خطابات لغوية مختلفة، تختلف بين الإغراق في التكثيف، والرمزية، وكذا التبسيط، والسطحية إلى درجة الابتذال أحياناً؛ كلّ ذلك حوّلها إلى لغة بلا هوية.

سعت العوالم الرقمية الموازية في بناء اعتباراتها إلى اختلاق كينونة إبداعية سمتها التحول بعيداً عن سمة التحجر، والثبات المعياري، والعمل على تكسير اللغة، وهكذا يتحول الخطاب إلى استراتيجية للسيطرة، والهيمنة، وتتحول السلطة إلى تقنية خطابية تكسر فيها اللغة كما يذهب هابرماس[١].

يرى فوكو أنّه لا بد من انتزاع الكلمات من كلّ أثوابها المعتادة، ووصفها ثانية في العراء خارج قوالبها، وحرمان الملفوظ من متكئه الدلالي[٢].

فزلزال التغيير الذي صحب تلك الثورات التكنولوجية قد أصاب اللغة العربية المستعملة على مواقع التواصل فأحدث فيها شرخاً وتغييراً جذريّاً، فسرقت حروفها وبدّلت بأرقام، وحلت العاميات محلها، وغيّرت اللغات الأجنبية من طموحات أبنائها، وأفسدت الكونية مسارها وأفرغتها من محتوياتها بلغة هجينة.

---

١. انظر: العلم والتقنية كأيديولوجيا: يورغن هابرماس، ترجمة حسن صقر ٢٠٠٣، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ص:٢٢.

٢. الكلمات والأشياء، ميشال فوكو، ترجمة مطاع صفدي وآخرون، مراجعة جورج ويناتي وآخرون، مركز الإنماء العربي، بيروت، ص:١٠.

إنّ اللغة الممارسة على الشابكة ومواقع التواصل ليست ممارسة تكنولوجية أفرزتها الوسائط التواصلية الجديدة التي تعمل داخل بيئة تواصلية متغيرة تسهم في تشكيلها تقنيات المعلومات والاتصال، كلّ ذلك يعطي الباحث مشروعية البحث والتماس الأسباب الكامنة وراء انتشار هذه الظاهرة بشكل لافت، لأنّها لم تقتصر على وطن عربي واحد؛ بل تكاد تكون هذه الظاهرة عامة لا يخلو منها بلد من البلدان العربية، ما يدفع للبحث والتعمق في دراسة هذه الظاهرة من مختلف الجوانب، فالخوف على مستقبل اللغة العربية وعالميتها في ظلّ التطور التكنولوجي؛ وتحديات الإدارة الإلكترونية على لغة الضاد.

إنّ مضامين اللغة المكتوبة في الفيسبوك تضعنا أمام خيارين: إما التعامل معها بوصفها منعطفاً في تاريخ الكتابة، وإما التعامل معها بأنها تقنية رقمية، والقطيعة مع اللغة الكلاسيكية، وكلتا الحالتين؛ ليست في صالح اللغة العربية، فلا شك أنّ المجتمع الذي ينتج معارفه حتى ولو كانت جديدة بلغته الرصينة من جملة ما يعنيه أنّ هناك علاقة تجاذب بين اللغة وأهلها إما سلباً، وإما إيجاباً؛ يقول المسدي: "وبين اللغة والمجتمع علاقة متبادلة... فلا تتحرك دون مجتمع يتحرك، ولا مجتمع يتحرك من دون لغة... فإنّ المشكل اللغوي هو في الواقع تحليل للنسيج الاجتماعي الثقافي الأوّليّ والأساسيّ الذي تقوم عليه الوحدة الثقافية القومية، وهذا التحليل ليس في واقعه لغوياً بقدر ما هو تحليل للمجتمع"[1].

اللغة العربية في مواقع التواصل بين الاستغراب والاستلاب: إنّ اللغة العربية المعاصرة المستخدمة في مواقع التواصل تعاني حالةً من الاستغراب والاستلاب في نمط الكتابة اللغوية، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ العرب المحدثين يكتبون العربية بحروف أجنبية، حتى صارت اللغات الأجنبية لغة التواصل العالمي، والتقنية الحديثة، والحضارة والسياسة والفكر المعاصر خاصة الإنجليزية.

---

١. العرب والانتحار اللغوي، د.عبدالسلام المسدي، ط الأولى، ٢٠١١، دار الكتاب الجديد، لبنان، ص١٣٥.

إنّ استبدال الحرف العربي بالحرف الأجنبي، كلّ ذلك كان تمهيداً لمحاربة اللغة العربيّة وإقصائها، وإحلال حروف أخرى محل حروفها لم يكن وليد اليوم، لقد بدأ منذ الاحتلال الأوروبي لبلدان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي، وجرت حملة واسعة تدعي عجز اللغة العربيّة عن أداء مهمّتها إزاء المصطلحات الحديثة، وصعوبة تعلّمها؛ يقول المسدي: "فاللغة القومية ليست مجرد وسيلة تعبير وتفاهم بين إنسان وآخر، إنّها بحكم منطقها الداخلي، وتارخيّتها، وبناها، وتراكيبها رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى، يتبيّن ذلك من زوايا ثلاث من النظر يتكامل بعضها: فاللغة أداة تلقي المعرفة، وأداة التفكير، ورمزه، وتجسيده، إنّها الفكر نفسه في حالة العمل"[١].

إنّ الوقوف في وجه هذه الحملات المسعورة ليس خياراً؛ بل هو واجب وجهاد لا يجب أن نتوانى عنه؛ كلّ في موقعه؛ إنّهم يريدون أن تتحول اللغة لمجرد غرض لا قيمة له؛ يقول كولماس: "اللغات إنّما هي أدوات تستخدم في أغراض معينة، فإذا افترضنا أنّ هذه الأغراض يمكن إنجازها بنجاح وكفاءة نوعاً ما، وإذا افترضنا أيضاً أنّ مستعملي أداة ما ميالون إلى اختيار الأداة التي تناسب أغراضهم، أو أنّهم يكيفونها بطريقة تجعلها مناسبة لغرضهم، أو أغراضهم العاجلة التي تدنو من الكمال، فإنّه يترتب على هذا أنّ اللغات يجب أن تتغير كما تغيرت الحاجات التي تستخدم اللغات لإنجازها"[٢]، فهو ينظر للغة على أنّها مجرد أداة قبل كل شيء، فليست لها قيمة بحد ذاتها، وإنّما تنطوي على قيمة[٣].

---

١. العرب والانتحار اللغوي، د.عبدالسلام المسدي، ط الأولى، ٢٠١١، دار الكتاب الجديد، لبنان، ص١٣٤.

٢. اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، ترجمة د.أحمد عوض، مراجعة عبدالسلام رضوان، سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٩، نوفمبر، ص٢٦٣.

٣. انظر المرجع السابق، ص٧٥.

تحولات الكتابة العربية وتكريس الأخطاء اللغوية: إنّ اللغة العربية الفصحى في العالم العربي اليوم تعيش حالة انتكاسية لا مثيل لها بالنظر إلى الواقع اللغوي العربي الحالي الذي تمخض عنه أخطاء لغوية ونحوية وإملائية وصرفية وبلاغية وأسلوبية...، ويضاف إليها هجين لغوي متنامٍ، يظهر ذلك جلياً في الاستعمال والممارسات اللغوية على مواقع التواصل؛ أخطاء كارثية، وخليط من الأنماط اللغوية من مختلف لغات الاستعمال اليومي من عربية فصحى ودارجة ولغات أجنبية.

وفي سياق الطفرة الرقمية بات تواصل معظم الشباب الناشئة عبر مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الاتصالات الحديثة يجري عبر لغة مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية والصرفية والبلاغية...من جهة، ولغة "هجينة" يطلق عليها "العربيزي" أو "فرتكو أراب"، ناهيك عن العاميات المنتشرة في مواقع التواصل، والدردشة، لذلك نتساءل في ظلّ الطفرة التقنية التي تزحف وتجرف معها كلّ اللغات العاجزة عن تطوير بنياتها وتجديد آليتها للمساهمة في الإنتاج المعرفي: هل ستصمد اللغة العربية في مواجهة العولمة اللغوية والإرهاب اللغوي الممارس ضد اللغة العربية على وجه الخصوص؟والتهجين اللغوي؟ والتغريب؟ والركاكة؟ فهي ليست مجرد مسايرة التطور والعصر، فقد توقع ماركوز أن يحدث استخدام اللغة المختصرة من عالم التجارة والدعاية استجابات، وردود أفعال آلية من البشر[1]، لذلك كان السؤال هل ستصبح هذه الكتابة إن استمر الأمر في الاستفحال أمراً مفروضاً وواقعاً معيشاً لا مفرّ منه؟ ويضاف لها مشكلة الضعف والأخطاء اللغوية التي تزايدت مظاهرها، وتنوعت أشكالها في

١. النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت: آنلن هاو، ترجمة ثائر ذيب، ٢٠١٠، دار العين، المركز القومي للترجمة، مصر، ص:١٢٨.

مواقع التواصل الاجتماعي والدردشة والمنتديات حتى أصبح من العسير حصر هذه الأخطاء، ما يستدعي الوقوف على أسبابها، إذ تعدى الأمر إلى المثقفين، واستفحلت الظاهرة حتى تولّد لدينا جيل عاجز عن الكتابة الصحيحة؛ أخطاء كثيرة تعيق الفهم وتشوه اللغة، لقد عمدوا تدرجياً إلى إبعاد اللغة[١].

إنّ الكتابة الصحيحة مظهر من مظاهر التعليم ورمز من رموز رقي اللغة، وعنصر أساس من عناصر الثقافة. وقد تركت تلك الأخطاء أثراً عميقاً على جيل بأكمله لا يأبه بوقوع تلك الأخطاء وذاك الهجين الذي يشوه جمالية اللغة العربية، وهنا أستحضر ما قاله ميشال فوكو، فالخطاب عنده هو نمط من أنماط تنظيم المعرفة، فهو يرفض المنطلق اللساني[٢].

إنّ منابع التشويش على إمكانية التواصل باللغة العربية في مواقع التواصل، والترويج لمقولات أيديولوجية ثابتة بأنّ اللغة العربية عاجزة عن مواكبة التطور العلمي قد أثر ذلك على كثير من أفراد الأمة، وهذا ما كنا نجده في مواقع التواصل والكتابات سواء من النخب المثقفة، أو عامة الناس، وقد هيأت نفسها للدفاع عن تلك الأطروحات الأيديولوجية، وأعدّت لها العدة، وعمدت لإبعاد أية أطروحات أخرى عبر الاستثمار الأقصى للتكنولوجيا سواء أكانت حقائق، أم أوهام وأكاذيب، وهكذا يتم توظيف الأيديولوجيا بآليات متعددة بكلّ ما يخدم أهدافها وتتحول اللغة من وسيلة للتواصل إلى وسيلة تعيق التواصل[٣].

---

١. النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت: آنلن هاو، ترجمة ثائر ذيب، ٢٠١٠، دار العين، المركز القومي للترجمة، مصر، ص:١٢٩.

٢. حفريات المعرفة: ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفون، ط.٢، ١٩٨٧، المركز الثقافي العربي، ص:١٨٢.

٣. انظر: الأيديويوجيا نحو نظرة تكاملية: سبيلا، محمد، ١٩٩٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص: ١٦.

واللغة لها دور كبير في المجتمع؛ يقول الأوراغي: "ولها -يعني اللغة- الدور المركزي في وقاية النسيج الاجتماعي من التفكك، وفي تهذيب السلوك الفردي، وترسيخ القيم الجمالية والحضارية الرفيعة، وخلق التوازنات النفسية..."[1].

وفي ظلّ الصراعات الاجتماعية التي ما انفكت تؤثر في اللغة تدافع الناس إلى استعمالها لأغراض وأهداف أيديولوجية تجعل الخطاب اللغوي وثيق الصلة بالمواقف المستمدة من الأيديولوجيا، وليس بالحقائق الموضوعية، فهم يوظفون الميثولوجيا والأيديولوجيا، وهدفهم إقناع أنفسهم بقضيتهم اللغوية التي يدافعون عنها، وهذا يعني أنّ عبء الصراع اللغوي بين أفراد المجتمع الواحد سيكون ثقيلاً للغاية لأنّها تخدم مرغمةً أهدافاً أيديولوجية متباينة؛ بل متناقضة أحياناً، ومع ذلك فإنّها ستجد من يروج لهذا الطرح، ويقبل ما تقدمه له من وصفات فكرية جاهزة، وهكذا تتحول اللغة الممارسة في مواقع التواصل من وسيلة لتجسيد الحوار والتواصل وتبادل الفكر والمعارف إلى وسيلة لممارسة العنف والكراهية والأيديولوجيا.

إنّ التوظيف الأيديولوجي لا يجب أن ينسب للغة، إنّما إلى مستعملي اللغة أفراداً وجماعات لأنّها في الحقيقة تؤدي الوظيفة التي يمليها عليها مستعملوها فحسب، سواء أكانت تلك الوظيفة سلبية أم إيجابية، فإذا شاء المرء أن يلوثها بالأيديولوجيا المتطرفة استجابت له وأعطته من طاقاتها التعبيرية، وعلى قدر كفاءة مستعمل اللغة تكون جسامة المسؤولية الأخلاقية المترتبة على المضامين

---

١. لسان حضارة القرآن: محمد الأوراغي، ط.١، ٢٠١٠، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص:٤٢.

الموظفة التي يتم إنجازها عبر قناة اللغة؛ وبهذا لن تكون التهمة موجهة للغة بقدر ما هي موجهة للأنساق الفكرية والسياقات الاجتماعية المنظمة لعمل اللغة، وهي الأنساق التي ليست من صميم مفهوم اللغة، وإن كانت ترتبط بها عضوياً.

مفهوم النهايات وتوظيف الميثولوجيا: ففي ظلّ طغيان مفهوم النهايات كصيغة جديدة للتعبير عن حالة الذهول أمام التحولات التي يشهدها العالم اليوم، مثل: نهاية الدين، ونهاية النّص، ونهاية العولمة، ونهاية الهوية، ونهاية المتعاليات، ونهاية المقدسات، ونهاية الأسرة، ونهاية العلم، ونهاية المدرسة، ونهاية الحداثة، ونهاية التاريخ... ونهاية الأيديولوجيات، وفي ظلّ سلسلة الجنائز المتتالية، مثل: موت المؤلف، وموت القارئ، وموت الناقد، وموت النّص، وموت الإنسان، وموت الإله... التفكيك وصل إلى كلّ شيء، فيلغون المرجعية فلا يبقى إلا العبث؛ لمن ستصبح السلطة؟ وهل في المستقبل القريب سنشهد نهايات أخرى، ونعلن موت أخرى عبر سلسلة من الجنائز التي لا تنتهي.

إنّ التقدم الإلكتروني الذي نشهده اليوم، وهذه المواقع التواصلية التي تطاردنا، وسهولة التعامل معها، وما تمنحه من آفاق قد أثرت في مستعملي مفهوم النهايات، ومن يلقي نظرة على الخطاب المتداول في مدوَّنات التواصل الاجتماعي سيقف على عودة خطاب النهايات، مكثافته، حيث يمكن أن نقرأ خطابات متعدِّدة تتحدث عن مفهوم النهايات، كنهاية المشروع القومي العربي، ونهاية الهوية، ونهاية اليسار، ونهاية القيم، ونهاية الوطن، والوطنية، والمواطنة، كما يمكن الوقوف على نهاية الهيمنة الأميركية، ونهاية القضية الفلسطينية، ونهاية جامعة الدول العربية، ونهاية مجالس التعاون الإقليمية؛ بل إنّ بعضهم لا يتردد في الحديث أيضاً عن نهاية إسرائيل، ونهاية "داعش"، و"القاعدة"؛ بل ونهاية الإرهاب، وكذلك نهاية الثورة السورية، ويبلغ الخطاب مداه، فيتحدث مؤدلجو النهايات عن نهاية زمن الأيديولوجيا، ونهاية التاريخ، ونهاية المقدس، والمتعالي.

وقد أصبح خطاب النهايات بما يحمله من أيديولوجيا أمراً واقعاً، إذ لا يجد الذين يوظّفون مضامينه أي حرج في الترويج والدعوة لمعطياته؛ وهكذا جاءت سلسلة النهايات والجنائز لتلغى الحدود الفاصلة بين المرسل، والمتلقي، والمؤلف والقارئ، ومحتوى الخطاب، وسياق الخطاب والمعنى، ولا المعنى لتحرير المتلقي من سلطة النّص والمؤلف، ولذلك ما فتئت تعمل على نفي المركزية، والتمرد على كل الأشكال التقليدية[1]، والقضاء على فكرة الثابت والمؤسسي، واستبدالها بفكرة الصيرورة الدائمة، والتحول المستمر؛ إذ إنّ الإنسان المستقل –عندهم– هو المركز، والمصدر، والمنطلق، وهو المعيار، والمقياس لكلّ شيء، ومن هنا نشأت قضايا مثل (موت المؤلف)، و(انتهاء المتعاليات)، و(أنسنة المقدس) ونحوها.

تحولات القيم في مواقع التواصل الاجتماعي بين التفاعل والذوبان: إنّ الحديث عن إشكالية تحول القيم اليوم، لا يعدّ ترفاً فكرياً، ولا مضيعة للوقت؛ بل هو واحد من أكثر المواضيع حضوراً في الملتقيات والندوات والمؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية، وذلك بالنظر لحجم التحولات التي جرت في السنوات الأخيرة والتي فاجأت وأدهشت الجميع، سواء كانوا أكاديميين أو باحثين، أو مهتمين، أو صحفيين، أو صناع قرار، أو أسراً، وغيرهم؛ ولعلنا لا نبالغ إذا ما أكدنا خلاصة أساسية، وهي أنّ الصراع الجاري اليوم في العالم تجاوز ما هو مادي واقتصادي وعسكري وتقني إلى ما هو قيمي ومعرفي بالدرجة الأولى، وقد أكد كثير من الباحثين أنّ مستقبل الصراع في العالم سيكون في منظومات القيم.

---

١. انظر: الأدب التفاعلي العربي ضمن الثقافة السائدة والاختلاف: سعيد الوكيل، ط١، ٢٠٠٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة المعاصرة، ص:٣٢٧.

وقد تم هذا الاختيار لأنّ عدداً هائلاً من مستخدمي وسائط التواصل الاجتماعي، يسهمون في الفوضى الأخلاقية، ويدوسون على كلّ القيم والتقاليد والأعراف، وفي كل الاتجاهات، وبأعداد هائلة، ومتزايدة ينتجون ويتبادلون المعلومات بمختلف أصنافها، ويسهمون في التأثير في البناء الاجتماعي للسلوك[1].

فما أكثر المعارك المفتوحة اليوم على المجتمعات العربية نتيجة للثورات الحاصلة في تقنيات التواصل، والتي لم نَتَمَكَّن بعد من بلورة قوانينها، ولا بناء القواعد القيمية التي تنظم علاقتنا بها.

إنّ موجات التعولم الصانعة لقيم المجتمعات في الحقيقة تجمع بين الصُّورة من جهة، وقيم التواصل الشبكي من جهة، ما يجعلنا بين عالمين متباعدين: عالم الصورة التي تركِّبُها، وعالم الواقع في جريانه، الأمر الذي يؤكد أنّ مبدأ إعلان الوصاية على القيم والتاريخ، لن يوقف الحركية القائمة في مجال تلوين القيم بمتطلبات التواصل مع عالم جديد، عالم يدعونا بحركات وأصوات ومواقف إلى ضرورة التحرر من القيم الموروثة، والتفاعل مع مقتضياته، والمساهمة في بناء قيمه؛ لذلك يدعون إلى إعادة النظر في منظومات القيم الموروثة، أو السائدة، والتفكير في بدائلها في ضوء ما يجري في العالم من تحوُّلات[2].

وفي خضم الطفرة التقنية، وانفلات المعرفة، وتحول المبادئ والقيم التي كانت سائدة، تمحور السؤال: هل المجتمعات العربية بأمس الحاجة إلى إعادة النظر في منظومات القيم خاصة المطروحة للنقاش في مواقع التواصل، ودورها في تفكُّك الموروث من القيم، واهتزازه؟ فقد حصل هذا بفعل ما عرفه العالم من تحوُّلات تكنولوجية متسارعة، وما تَرَتَّب ويترتَّب عليها من توتُّرات ومعتقدات

---

١. الإعلام الجديد: النظام الفوضى: عبدالله الزين الحيدري، المجلة العربية للاتصال والإعلام، تونس، ٢٠١٠، عدد٦، ص:٤٠.

٢. المرجع السابق، ص:٤٥.

جديدة وسلوكيات أدخلت القيم بمختلف صورها في أنظمة مختلطة يصعُب الركون فيها إلى نماذج ومبادئ بعينها، فقد أحدثت مواقع التواصل الاجتماعي في ظلّ التغيرات العالمية نقلة نوعية في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وفي التأثير على النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام والنسق القيمي بشكل خاص.

ولما كانت مواقع التواصل الاجتماعي من أحدث منتجات تكنولوجيا الاتصالات وأكثرها شعبية، فقد لعبت دوراً مهماً في نشر ثقافة مجتمعية جديدة تعتمد على قيم مستوردة، وعملت على ترسيخ بعض القيم التي لا تتناسب مع متطلبات المجتمع وتطلعاته وأهدافه وقيمه خاصة في ظلّ غياب القوانين والضوابط التي تحكم إيقاع هذه الظاهرة، مما انعكس بالسلب على المنظومة القيمية التي يحملها الشباب واتجاهاتهم وميولهم تجاه بعض القضايا والمواقف العقدية والأخلاقية والاجتماعية والأسرية.

وقد صدق تكهن نبيل علي عندما تحدث عن العوارات الاجتماعية التي سنكتشفها في نهاية الألفية الثانية، والوقوف على الخلل الحاصل بحيث يتعذر معها التستر مهما بلغت قوة وسائل الإعلام الجديدة[1].

كانت المجتمعات التقليدية تمارس نوعاً من الرقابة في ضبط الخطاب حيث ظلّ إنتاجه خاضعاً لمجموعة من الضوابط، ولكن مع التقنية الجديدة أصبح متحرراً، ومتفلتاً من القيم والضوابط .

نقل المجتمع إلى مرحلة جديدة تتميَّز بالتحرر من الأيديولوجيا: إنّ الأيديولوجيا التقنية تتغذى من العمل المستمر لتغييب التأمل لدى الإنسان المعاصر بسبب انبهاره وافتتانه بالتكنولوجيا الحديثة.

---

١. انظر العرب وعصر المعلومات: نبيل علي، عالم المعرفة، عدد ١٨٤، ١٩٩٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص:٢٥٤.

إنّ الاستراتيجية التي بنيت على مواقع التواصل هزمت الأيديولوجيـــة، وفرضت منطقها، فهل هي قادرة على إزاحـــة منطـــق الأيـــديولوجيا إذا مـــا تعارضا، وهل أضحت مهمة منطق الأيديولوجيا هي البحث عن صيغة للتعايش مع التكنولوجيا؟

وعلى المستوى الأيديولوجي يُلاحَظ في عصر نهاية الأيديولوجيا، وما بعد الحداثة، أنّ كلّ النظريات تتقلص، ويختفي المركز، لذا فقد نصّ بيير بورديـــو على أن من يملك المعلومات، أو المعرفة، أو الأســـس التكنولوجيـــة يســـتعمل الأيديولوجيا، وهو يسميها بالعنف[١].

ويبقى العنف في طرفي الصراع يصدر بالدرجة الأولى مـــن المحاضـــن الأيديولوجية، وكلما تضخمت الأيديولوجيا زادت حدة العنف.

الهوية بين الثوابت والمتغيرات الكونية: إنّ العلاقة التي تجمع بين الأنا والآخـــر كما يقول دانيال هنري باجو: "أسسها التميز والاختلاف، فإن حصـــل التوافـــق بينهما بالتقليد، كانت الأفضلية للنموذج، ويكتسب المقلد هوية الآخر، أو يكسب هوية مشوشة ترنو إلى معاجلة هوية الآخر"[٢].

وتأتي أهميَّة التربية على الهويَّة أو التربية من أجل تعزيز الهويَّة بكـــل أبعادها من أجل مواجهة ما تفرضه خطابات مواقع التواصل الاجتمـــاعي. إنّ العولمة في أبسط معانيها تسعى لذوبان الخصوصيات، ولذلك تسعى للانتقال من

---

١. التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول: بييـــر بورديـــو، ترجمـــة إدريـــس الحلـــواجي، ط.١، ٢٠٠٤، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، ص:٢٧.

٢. الأدب العام المقارن: دانيال هنري باجو، ترجمة غسان السـيد، اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشق، ١٩٩٧، ص:١١١.

الخصوصيات إلى العموميات، ومن الجزئيات إلى الكليات، وعلى النقيض تماماً تسعى الهويات للانتقال من العموميات إلى الخصوصيات، ومن الكليات إلى الجزئيات، وفي ظلّ هذا التجاذب الحاصل بين طرفي نقيض تأتي أهمية البحث في هذه الإشكالية باعتبارها من أكثر المواضيع حضوراً ومناقشةً بين النخب المثقفة في الآونة الأخيرة، لأنّها أمر يتعلق بطبيعة الصراع والتجاذب الحاصل بين مفهومي العولمة والهوية.

لقد سارع الإعلام الجديد بكل توجهاته إلى إفراغ الهويات من محتوياتها وخصوصياتها إذ تعمل على اكتساحها، وهي مشحونة بإرادة الهيمنة، فقد تحولت إلى أيديولوجيا قمعية، وهي تسعى إلى أمركة العالم وتقسيمه إلى مركز وأطراف، بفرض الحراسة والعقاب على المعتقدات، والاستثمار في القيم المقلوبة، وهل تفلح مواقع التواصل بما تملكه في تقليص الهويات في هوية واحدة متجانسة ثقافياً وسياسياً واجتماعياً ولغوياً؟ وهل ستفلح في تذويب الحدود والحواجز الثقافية؟ أم تقوم الهوية بدور صناعة المناعة للفرد والجماعة؟ وفي اعتقادي هذا هو التحدي الأكبر لهوية الأمم والشعوب، فكان لزاماً أن نوجه سؤال الهوية اليوم لتحرير الإنسان من الاستلاب والاغتراب والهيمنة التقنية في ظلّ تحول الصراع من صراع الثقافات إلى صراع الهويات.

وكل من يختار التفرد والخصوصية يصور كحالة شاذة ومنبوذة، لأنّه يقف دون أن يدري ضد أيديولوجيا المجتمع الاستهلاكي وموجهاته الخفية، فالرفض الفكري والانفعالي للامتثالية يبدو وكأنّه علامة عصاب وعجز كما كان يقول ماركوز[1].

---

١. الإنسان ذو البعد الواحد: هربرت ماركوز، ترجمة جورج طرابيشي، ط٣، ١٩٨٨، دار الآداب، بيروت، ص:٤١.

في زمان العولمة الذي أفضى لتداول المواقع صـــار الفاعـــل مفعـــولاً، والمفعول صار فاعلاً، وفي ظلّ غياب الأنا الذي استلزم حضور الآخر؛ كلّ ذلك يدعونا لإعادة النظر في مفهوم الهوية في عصر المادية، والذي تحول فيه العالم لقرية كونية لا مكان فيه للخصوصيات والمتعاليات والمقدسات...، من شأنه أن يضع مفهوم الهوية الإسلامية التي نبحث عنها -في زمان الاغتراب- في قلب التحولات الفكرية والاجتماعية والفلسفية والأيديولوجية للمجتمعات الإســـلامية سواء في مرحلة الصراع مع الآخر في إثبات الهوية، أم في البحث عن هويـــة الأنا التي ضاعت في زمان الاستلاب الحضاري، أم في سبيل البحث عن إعادة الاعتبار لمكانة الهوية الإسلامية، ومن ثـــمّ النهـــوض بالمجتمعـــات العربيـــة والإسلامية، ويتسنى لنا إعادة الأنا للحضور. لقد أصبح من الصعوبة بمكان على المجتمعات الإسلامية المعاصرة أن تعيش خارج الحداثة العولمية الكونية، دون أن تتأثر، أو تندرج في مساراتها.

فممّا لا شك فيه أنّ حجر الأساس لتحول كبير في مفهوم هوية يليق بالعالم الجديد قد وُضِع، وتبدو مسألة الهوية في هذا السياق كعملية تكيف مـــع العـــالم المقبل، وما يرافقها من صخب وضجيج يشبه ما حدث عند المنعطفات الكبرى في التاريخ الإنساني كلِّه؛ إذ لم تولد دولة المدينة من غير ضجيج وآلام، ولـــم تولد الدول القومية من غير ذلك، ولم تولد الإمبراطوريات الكبرى مـــن غيـــر معاناة[1].

إنّ كثيراً من المضامين التي يتمّ تداولها في مواقع التواصل نابعـــة مـــن ضعف الانتماء للهوية الوطنية العربية؛ الأمـــر الـــذي أدى لظهـــور ظـــاهرة

---

١. اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم: رشيد بلحبيب، ضمن كتاب اللغـــة والهويـــة في الوطن العربي، الهويات إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحـــاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت ٢٠١٣، ص:٢٤٨.

الاغتراب والإحباط حيث يعيش الفرد في فضاء غريب عنه بعيد عن بيئته الطبيعية الواقعية وهويته الأصلية الحقيقية، ويصبح بذلك تائهاً ومشرداً بين عالمين، لذا تواجه المجتمعات العربية والإسلامية تحديات كبيرة تؤثر في مسار تنميتها وتطورها وتماسكها وهويتها وثوابتها...، خاصة مع ظهور أنماط جديدة من الاتصال والتواصل؛ من ذلك الهوية الافتراضية حيث يعملون على سحب بعض القضايا من الواقع إلى المجتمع الافتراضي الذي يعدّ بوابة جديدة لتحقيق المواطنة[1].

توظيف الميثولوجيا: كانت المجتمعات القديمة تنتج أساطيرها لتؤمِّن التحكم بأفرادها، وتحقق توازناتها في الداخل ومع الخارج، والمجتمع الاستهلاكي المعاصر يتحول إلى أسطورة، ولهذا فهو ليس بحاجة إلى إنتاج الأساطير، فقد عاد الاهتمام بالأسطورة في مواقع التواصل وتوظيفها كمخرج نفسي تجاه قلق الإنسان وحيرته وتمزقه، وقد ارتبط هذا الاهتمام بالمطالب النفسية التي رأت في الأسطورة نوعاً من الإسقاط النفسي يهدف -بتمثل الطقوس- إلى إعادة بناء المتناقضات في تجربة الإنسان، وما يناوش وعيه من ضغوط متعددة[2].

فأصبح الإنسان المعاصر يبحث عن آلهة العرب، وعن مجموعة من العقائد والديانات والأساطير التي احتضنتها الحضارات القديمة، خاصة ما يعرفه العصر من تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية...، ومع سعيه ومحاولته البحث عن زمن موضعي متحرر من انبثاقات الخطابات المركزية، أو إفرازات العقل التقليدي بدأ الحديث عن خطاب ميثلوجي، **لذا** توجهت المجتمعات نحو البحث

---

١. شبكات التواصل الاجتماعي: د.فيصل محمد عبدالغفار، ط.١، ٢٠٠٥، الجنادرية للنشر والتوزيع، ص:١٧.

٢. الإنسان ذو البعد الواحد: هربرت ماركوز، ترجمة جورج طرابيشي، ص: ٤١.

عن البدائل والمغايرات رفضاً للاستبداد السلطوي أو الأنساق المهيمنة؛ ما أدى لتغير المنظومة العقائدية والفكرية والثقافية...

الأيديولوجيا وانعكاساتها: ليست القضية والمشكلة في مواقع التواصل، ولا في الخطاب؛ بل القضية هي عدم اعتراف الآخر بالأنا، والتسليم بوجود طرف محاور متكافئ، فالآخر لا يعترف إلا بنفسه، ولا يحاور إلا ذاته، والأنا ينظر للآخر في نرجسية حضارية تاريخية شديدة، الآخر هو مجالها الحيوي والمحقق لحاجاتها، وامتداد نشاطها، الأيديولوجيا الكولونيالية هي الأنا والآخر، الذات والموضوع، الشمال والجنوب، الموافق والمعارض، المماثل والمختلف، وأن ننفض عن أذهاننا مقولات الأنثروبولجيا الغربية عن الثقافات البدائية والثقافات الغالبة، فهذا كلّه مستل من أيديولوجيا الكولونيالية ورؤيتها للمجتمعات وللعالم وهي من توابع عمليات اختراق أنساقنا الفكرية والثقافية، هذا مشروع متكامل ومركب طال منهجنا العقلي الفكري والمعرفي في صميمه، وخلخل المقومات النفسية، وسار بالفنون والآداب والأذواق في خطط وطرائق أخرى للاستعداد للتنازل والتسامح وقبول ما يصدر عن الآخر، على المستوى الثقافي.

إن الخطاب الذي يرسله الباث للمتلقي في حقيقة الأمر يعبر عن موقف إيديولوجي قبل أيّ شيء آخر على اعتبار أنّه نص يجسّد لثقافة بعينها، ولرؤية محددة إلى العالم، وبلغة معينة، وهو ما يفرض أن يسمح بحرية التعبير عن الذات، وأن تستند في ذات الوقت إلى حرية التعرف على الآخر، إلا أنّ الخطاب الموظّف لا يمكن أن ينظر إليه على أنّه عمل عفوي، أو ظاهرة حيادية، ذلك لأنّه إنّما يعدّ اختياراً حضارياً يدل على موقف أيديولوجي محدد سواء بالنسبة إلى موضوع المطروح، أو الطريقة التي ينقل بها الخطاب من لغة إلى أخرى.

لذلك نتحدث عن الأيديولوجيا التي عجزت الأنتلجانتسيا عن إنتاجها، أو حتى تعريبها وتسويقها في وعي مجتمعي قادر على مساءلة الوضع القائم، لذلك

تبنت رؤية هروبية، فاستندت إلى الأيديولوجية باعتبارها بديلاً لوظيفتها التنويرية والإنتاجية؛ ولعل هذا ما جعل كفة الآخر تبدو راجحة، ولذلك لا يترددون في الإعلان أنّه إذا دخلت الاعتبارات اللغوية في صراعات أيديولوجية، فإنّ الاحتمال الأكبر أن يفوز الاعتبار الثاني[١].

الأيديولوجيا الرقمية: وتبقى المضامين الموظّفة في الفيسبوك تمتاز في علاقتها بالحتمية التقنية بأنّها تحتل في طياتها أيديولوجيا لأنّ التقنية ليست شيئاً محايداً؛ بل هي جملة من الأدوات والوسائل التي كرست نظاماً عقلانياً للسيطرة والهيمنة، فقد أضحت التكنولوجيا أيديولوجيا قمعية لا تختلف عن الأنظمة الفاشية (J.irgen Habermas) إلا بميزة أساسية جعلت من العقل أداة لقمع الإنسان كما كان يعبر عنه هابرماس.[٢]، ولعل كتاب هابرماس –التقنية والعلم كأيديولوجيا– خير دليل على ذلك[٣].

لا شك أنّ الطفرة التكنولوجية لمواقع التواصل الاجتماعي، وما صحبته من تغيرات تمارس أشكالاً من الخطاب الأيديولوجي الاجتماعي والسياسي والتاريخي والديني والثقافي...، وما تطرحه من قضايا تتعلق بهذه الأيديولوجيا تبقى المرجع الرئيس للمضامين الفكرية للخطابات.

إنّ مفهوم الأيديولوجيا يقتضي وضعاً اجتماعياً وتاريخياً خاصاً يعيش أثناءه الفرد المنتمي إلى جماعة أو طبقة أو مجموعة ثقافية حالة تجعله عاجزاً عن إدراك تعبير صادق تام ومستقيم عن واقع حياته العامة، بما فيها من علاقات

---

1. Lefevere 1992a; George Steiner 1975/1992;p:39.

٢. انظر لذة الكتابة قراءات في الراهن الفكري والنقدي والأدبي: لونيس بن علي، ٢٠١٢، دار فيسرا للنشر، الجزائر، ص:٢١.

3. J. Habermas, la technique et la science comme idéologie, trad. Franc. J. R. Ladmiral, Paris, 1973.

سياسية واجتماعية وتطلعات إلى المستقبل؛ أي تصور الحاضر والماضي والمستقبل إما معكوساً، أو مشتتاً، أو معكراً غير واضح[1].

تغيير البنى الثقافية: كما أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير البنى الثقافية، فإنّه بقدر ما أسهم الفيسبوك في التوسيع من عملية التواصل بسبب سرعة الطرح والانتشار والاستجابة فقد أسهم في تغيير الكثير من الوقائع الثقافية والاجتماعية والأخلاقية...

عدم مراعاة الاختلاف: إنّ الاختلاف بين الأفراد والمجتمعات، حق أقره القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[2].

إنّ هذا الاختلاف الذي قامت عليه الحضارات والثقافات والذي استفادت من منجزاته الشعوب والأمم، يصبح لا معنى له عندما يتحول إلى الصراع. إنّ التواصل الذي يتأسس على تفاعل حر بين ثقافات مختلفة، ينشد خيراً يتوزع على الجميع دون زيغ أو محاباة، وهذا التفاعل يكون له أثر لفكر حواري يؤمن بالاختلاف والمساواة في آن، دون أن يرى أن بعض الشعوب أقل شرفاً من شعوب أخرى.

المضامين بين وعي الحرية وإدراك التقنية: أصبحت الوسائط الاجتماعية تلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان المعاصر حيث تحولت إلى جزء من يومياته، وأداة للتأثر والتأثير، وهو الذي أضحى لا يستغني عنها، والتي أحدثت داخل النظم الثقافية للمجتمعات زلزالاً عنيفاً، فأصبح بعيداً عن المراقبة ويملك مساحة من الحرية

---

١. الأيدولوجية العربية المعاصرة: عبدالله العروي، ترجمة: محمد عيتاني، ط٤، ١٩٨١، دارالحقيقة، بيروت، ص:١٣.

٢. سورة المائدة، الآية:٤٨.

التي تجعله يتحرر من القيود والترويج للأفكار والمعتقدات من دون رقابة سلطوية، وهي معضلة فكرية إجرائية؛ صحيح لا قيمة للفكرة مهما كانت طبيعتها إلا إذا شاعت بين النّاس، ولعل خير وسيط يحمل هذه الأفكار هو الوسائط الاجتماعية[1].

فالأمة التي لا تثق بقدراتها، ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها؛ لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتمد إلا ما يقولون، ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا هو التسول الحضاري بعينه، الذي يُمثِّل قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها[2].

تمظهرات الخطاب الديني في مواقع التواصل وحدود انفلاته بين الفاعلية والأيديولوجية:

لم تعد المؤسسات الدينية الكلاسيكية وحدها تحتكر الخطاب الديني وصناعته واحتكاره؛ بل أصبحت أكثر من مؤسسة تشاركها، منها مواقع التواصل الاجتماعى التى فرضت نفسها بقوة، وأصبحت تروّج للخطابات الدينية بأهداف أيديولوجية ظاهرة وباطنة.

فقد أسهمت شبكات التواصل الاجتماعي في بلورة الخطاب الديني، فأصبحنا نقرأ عن التعايش السلمي بين الأديان، وحوار الأديان، وحرية المعتقد، والاعتراف بالمخالف، والتسامح...، والدعوة لعدم الإساءة للأديان واحترام المقدسات، على الرّغم من هذه النقلة النوعية إلا أنّنا نلحظ تنامي ظاهرة التطرف لدى البعض الآخر في ظلّ التحرر من القيود. والحرية الممنوحة في

---

١. شبكات التواصل الاجتماعي: د.فيصل محمد عبدالغفار، ط١، ٢٠١٥، الجنادرية للنشر والتوزيع، ص:١٣٩.

٢. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية: د.محمد عمارة، ط١، ١٩٩٩م، نهضة مصر للطباعة، ص:٤٤.

مواقع التواصل تحولت عند بعضهم إلى الإساءة الى الأديان، والمساس بالمقدسات، وأصبحوا يتداولون أخباراً ومضامين دينية محرفة ومغلوطة تدعو للتعصب والصراع الديني والمذهبي، وحتى العنف الممارس على شبكات التواصل صار ظاهرة من الواقع الذي نعيشه، وكان من آثاره انكسار البنية القيمية في الممارسات الثقافية والاجتماعية على أرض الواقع. إنّ الحد من هذه الظاهرة يعدّ تحدياً كبيراً خاصة في ظلّ الحرية التي يتمتع بها الفرد في مواقع الفيسبوك ممّا سمحت له بالتحرر من القيود التي كانت تكبله وتكبح طموحه، ما فتح المجال واسعاً للعنف والعنف المضاد خاصة في ظلّ الانفلات الذي تعرفه شبكات التواصل، إذ لم يعد باستطاعة أحد السيطرة على المعلومات المتدفقة؛ كلّ ذلك يدفع المختصين للتفكير الجاد، والعمل على تصحيح هذا الانحراف الفكري، وإعادة التوازن بين التكنولوجيا والدين.

خطاب الكراهية والتنابذ: إنّ الحوار والتحاور يبنى على الاختيار الحر، **اختيار** بلا إكراه، ذلك أنّ الإكراه يستولد النزاع والتنابذ، ولعل هذا من أسرار أن الله عز وجل قال: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[1]، والإكراه تعبير عن إلغاء الاختلاف، فلا تستطيع ثقافة معينة أن تتفاعل مع ثقافة أخرى إلا إذا تفاعلت معها، دون تعسف أو إكراه.

وقد انعكست هذه الثنائيات والمعوقات على البناء النفسي والفكري للمواطن العربي في بُعدين مهمين هما: الاغتراب والتبعية الثقافية؛ أما الاغتراب، فهو انسحاب من ممارسة الفعل الثقافي في المجتمع، وبناءً عليه فقد المواطن أحد أبرز مقوماته وهو تفاعله مع مجتمعه وقضاياه. وأما التبعية فقد أسهمت الحداثة

---

١. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

في إنشاء تصوّر عربي يكاد يتماهى مع التصورات الغربية للوجود، ولعلَّ هذا يفرض علينا تفحّص المنطلقات والآليات التي ينبغي توفرها في بنية التواصل حتى يستطيع القيام بفعل المثاقفة دون شعور بالدونية أو الاستلاب.

المثاقفة بين قانون الاتزان والتوازن: التوازن هو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، والمقصود منه معرفة الأشياء على ما هي عليه، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها، أو التوازن هو: النظرة المعتدلة للأمور بين أطراف متناقضة، والمقصود من التعريف: (البعد عن طرف الإفراط، والحماس الزائد، والغلو، والتشدد، والمبالغة، وكذلك البعد عن الطرف الآخر وهو التفريط والتهاون)، والاتزان لا يعني صواب الفكرة، بل صواب طريقة التفكير.

ويبقى قانون (التوازن والاتزان) هو القانون الراسخ في صنع مثاقفة عادلة بين الحضارات المختلفة؛ فإن جمدت الأمة عن فعل المثاقفة ضاعت، وإن أغرقت في الأخذ والتواصل ضاعت أيضاً، فكما أنّ جمودها يعزلها ويضيع وجودها، فكذلك انبهارها بلا ثقة في تراثها، وأعني بذلك انبهارها بما لدى الآخرين، مع فقدان الثقة بما لديها؛ وهذا الانبهار المتهالك يسلمها إلى الذوبان والفناء؛ نقول ذلك ونقرره حين يكون مثقفو الأمة ومفكروها وأدباؤها واقفين عند حدود الانبهار في مثاقفتهم، فماذا يكون الحال حين يتجاوزون الانبهار إلى عداءٍ مَرَضي لتراثهم ودعوةٍ إلى تدميره والإلقاء به في البحر، وهذا ما كنا نلمسه في خطابات ومضامين مواقع التواصل، إنّ هذه الحالة المَرَضية سوف تُسلم إلى موت محقق، تماماً كحال مريض بالانفصام أو الاكتئاب، أسلمه المرض إلى الانتحار أو الموت البطيء، لذلك لا بد في المثاقفة من التكافؤ في الوسائل باعتباره الضامن للتوازن بين الأطراف المتداخلة لأنّ احتكار تلك الوسائل

والآليات من قبل طرف دون آخر من شأنه أن يتسبب في انخرام ذلك التوازن وأن يحدث خللاً في عملية التثاقف، ويفتح الباب على مصراعيه للتسلط والهيمنة. فالتحكم في الوسائل تحكم في الغايات وخنق للمبادرة، وكسر للتلقائية وتهديد للمناعة والخصوصية.

ولذلك تبقى مشكلة مثاقفة (الأنا) والآخر، وما شاكلها من الثنائيات؛ أنّ كثيراً من أخطاء التفكير نشأ نتيجة انعدام التوازن والاتزان في أشكال العلاقة بين الأنا والآخر، والتهويل يشكل منتجاً من منتجات طغيان العاطفة على العقل؛ حيث إنّنا إذا أحببنا شيئاً وفُتِنَّا به حاولنا تأمين شرعية ذلك الافتتان عن طريق كيل المدائح وإبراز المحاسن ورفعه إلى مستوى الأساطير والخوارق، وإذا أبغضنا شيئاً حاولنا أيضاً تسويغ ذلك البغض عن طريق إبراز مساوئه وعيوبه.

الآخر حقق من خلال مثاقفته معنا سبقاً حضارياً وثقافياً لا مثيل له، يوجب علينا أن نفيد من تجاربه، ونتثاقف معه فنعيش العصر، ونحييه ونحياه في آنٍ واحد وفق قانون التوازن والاتزان.

إنّ نجاح مثاقفة الأمم يقاس بمبدأ: (التوازن والاتزان الثقافي) الذي تحققه لنفسها، وبقدر هذا التوازن والاتزان بين كيانها وأصالتها من جانب، وثقافات الآخرين من جانب آخر؛ تكون قوتها وقدرتها على العطاء الإنساني الذي يكسبها الاحترام والوجود المتميز.

وهذا يؤكد أن التوازن والاتزان مطلب ملحٌّ يعصم الإنسان من الاندفاع والغلو غير المنضبط؛ قال الله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[1].

---

١. سورة القصص، الآية: ٧٧.

إنّ مثاقفة (الأنا) والآخر، وما شاكلها من هذه الثنائيات نشأت من أخطـــاء التفكير نتيجة انعدام التوازن والاتزان في أشكال العلاقة بين هذه الأشياء.

نؤكد في خاتمة هذه الورقة البحثية أهمية المثاقفة، فهو خيار لا بد منه، لكن لا بد من التأكيد في الوقت ذاته على ضرورة التمييز بين مفهوم المثاقفة التـــي قوامها التفاعل المتكافئ والاحترام المتبادل بين مختلـــف الثقافـــات والشـــعوب ومفاهيم التبعية والغزو والاستلاب الثقافي والعولمة الثقافية والغربنة.

كما نؤكد على المثاقفة التي تقوم على الثقة والاقتدار بأوسع صورها، ونلح على المثاقفة التي تخضع لقانون الاتزان والتوازن لأنّ الاتزان يمنحها دخـــول المثاقفة بوعي نرسخ به هويتنا وأصالتنا ونحافظ على خصوصيتنا، والتـــوازن يدفع عنها الذوبان، ويساعدها على الاستفادة من منجزات العصر بوعي.

الخاتمة:

وقبل سنوات ذكر الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، أنّ مواقع التواصل الاجتماعي تشتغل،

وتعمل على إثارة عدم الاستقرار في الدول الشمولية والسلطوية، وتعمل على تآكل الفضاء العام، والشعبي في الدول الديمقراطية.

إنّ تعمد إغراق الإنسان المعاصر اليوم في مواقع التواصل الاجتماعي دون أهداف وغايات واضحة، ودون وعي حقيقي بالمخاطر، وخطورة الوسائل التي يستخدمها دون أن تلبي حاجاته وطموحاته، في الحقيقة الأمر؛ ما هو إلا طريقة جديدة تستخدمها القوى المهيمنة لتزيد من إحكام قبضتها على العالم، بعد أن حوّلتْ المعلومات إلى "سلعة" من السلع التي ترمي بها إلى مستهلكين لا يحقُّ لهم التصرف بها إلا وفق رغبات المنتِج نفسه، وذلك بغية ضمان عدم استخدامها في أيِّ مشروع طموح يغير واقع الأمة وينهض بها، ويمكن له أن يعمل على تحرير الشعوب والأفراد وتحقيق الحلم الأزلي في العدالة والحرية؛ كلّ ذلك يدعونا لإعادة الاختبار والتقويم والمراجعة والمثاقفة والمفاكرة والوصف وإعادة النظر في المضامين الأيديولوجية، إذ لم يكن الغرض النيل والحط من قيمة القناة والوسيلة المستخدمة، ولكن لنكون مؤهلين للتجدّد والتجديد مع استيعاب المتغيرات والإبداع في المضامين الملائمة لإيصال الخطابات الهادفة إلى أكبر فئات المجتمع وهي الغاية المنشودة.

ويمكن أن نلاحظ بأنّ التركيز على مشكلات فشل التواصل وعلاقتها بطبيعة الخطاب اللغوي يزداد مع ازدياد حدة الصراعات الأيديولوجية.

كما نريد أن يتحول مفهوم المثاقفة الذي أتاحته وسائل التواصل بشكل غير مسبوق من التفاعل الثقافي المبني على النزعة الإمبريالية الراغبة في الهيمنة والسيطرة ومحو الآخر واستعباده وفرض التبعية

والوصاية والهيمنة عليه...، إلى التفاعل الثقافي المبني على التسامح والاحترام المتبادل والندية والتكافؤ...، إلى الشراكة والاشتراك وليس تبعية واستلاب؛ لأنّ المثاقفة لا تتحقق إذا خلت من طرفين، واقتصرت على طرف واحد يضخ ثقافته في الاتجاه الآخر.

إنّ التواصل باستعمال اللغة العربية بين أفراد المجتمع وطبقاته الاجتماعية كافة تتحكم فيه مجموعة من الخلفيات الاعتقادية والاجتماعية والسياسية الأيديولوجية والدوافع الشخصية والنفسية، كيف ولماذا يستعملون اللغة.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى:

- إنّ التلاقح الحضاري الذي وفرته التقنية الحديثة سهل انتقال المعلومات بنفس القدر الذي رسّخ فيه قيم ولغة وثقافة الآخر.
- إنّ المثاقفة التي نتوخاها بين الأنا والآخر، لا تنحاز إلى فئة دون أخرى؛ لا تنتصر للأنا على الآخر، ولا للآخر على الأنا، ليس هذا هدفها ولا غايتها؛ بل تسعى جاهدة لتطهير العلاقات وتفعيل الحوار المتبادل الذي يخضع لقانون التوازن والاتزان، ولعل ذلك من شأنه أنّ يسهم في حوار الحضارات لا في صراعها.
- نؤكد أنّ الحوار والتواصل هو اعتراف بالآخر دون إلغاء للأنا، وأنّ الانفتاح على هذا الآخر ليس تغريباً ولا تدجيناً، كما أنّه ليس استعباداً ولا استرقاقاً.
- الصدمة الفيسبوكية حولت الانبهار بالواقع الافتراضي إلى الاصطدام بالواقع الحقيقي.
- ضعف الارتباط عند كثير من رواد شبكات التواصل بثوابث الأمة، والشعور بالانهزامية أمام اللغات الأجنبية والثقافات الوافدة من البلاد المتحضرة في ظلّ الهيمنة الكونية.

- في ظل التسابق على التواصل الاجتماعي علينا أن نفكر في وضع استراتيجيات محكمة للتحكم أو على الأقل للتخفيف من هذه الظاهرة التي استفحلت في المجتمعات العربية، حتى لا تتحول المجتمعات إلى تكتلات سوسيولوجية رقمية، أو مجتمعات افتراضية.
- القارئ في مواقع التواصل أضحى لا يهتم بالمعنى الذي يحمله الخطاب بقدر اهتمامه بالشكل، فظلّ أسيراً لهذا الشكل دون التفات للمعاني.
- إنّ اللامركزية المعرفية التي دعت إليها العولمة قد أنجزت مركزية خاضعة لسلطتها.
- الاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة، وتوظيفها لخدمة هويتنا وترسيخ مبادئنا.
- العمل على تطوير لغة الخطاب بما يتلاءم مع روح العصر.

التوصيات:

- الدعوة لإعلاء قيمة اللغة العربية، وجعلها لغة التواصل والحوار.
- توصي الدراسة، وتدعو إلى احترام خصوصية الآخرين بكلّ أشكالها الدينية واللغوية والثقافية..لا إلغائها، وإقصائها، والعمل على تذويبها.

المصادروالمراجع:

- الأدب التفاعلي العربي ضمن الثقافة السائدة والاختلاف: سعيد الوكيل، ط١، ٢٠٠٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة المعاصرة.
- الأدب العام المقارن: دانيال هنري باجو، ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٧.
- الإعلام الجديد: النظام الفوضى: عبدالله الزين الحيدري، المجلة العربية للاتصال والإعلام، تونس، ٢٠١٠، العدد ٦.
- الإعلام ليس تواصلاً: دومينيك وولتون ٢٠١٢، دار الفارابي، بيروت.
- الإنسان ذو البعد الواحد: هربرت ماركوز، ترجمة جورج طرابيشي، ط٣، ١٩٨٨، دار الآداب، بيروت.
- الأيدولوجية العربية المعاصرة: عبدالله العروي، ترجمة: محمد عيتاني، ط٤، ١٩٨١، دار الحقيقة، بيروت.
- الأيديويوجيا نحو نظرة تكاملية: محمد سبيلا، ١٩٩٢، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول: بيير بورديو، ترجمة إدريس الحلواجي، ط١، ٢٠٠٤، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق.
- حفريات المعرفة: ميشال فوكو، ترجمة سالم يفون، ط٢، ١٩٨٧، المركز الثقافي العربي.
- شبكات التواصل الاجتماعي: د.فيصل محمد عبدالغفار، ط١، ٢٠١٥، الجنادرية للنشر والتوزيع.

- الانتحار اللغوي: د.عبدالسلام المسدي، ط الأولى، ٢٠١١، دار الكتاب الجديد، لبنان.
- العلم والتقنية كأيديولوجيا: يورغن هابرماس، ترجمة حسن صقر ٢٠٠٣، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا.
- العرب وعصر المعلومات: نبيل علي، عالم المعرفة، عدد ١٨٤، ١٩٩٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الكلمات والأشياء: ميشال فوكو، ترجمة مطاع صفدي وآخرون، مراجعة جورج ويناتي وآخرون، مركز الإنماء العربي، بيروت.
- لذة الكتاب قراءات في الراهن الفكري والنقدي والأدبي: لونيس بن علي ٢٠١٢، دار فيسرا للنشر، الجزائر.
- اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، ترجمة د.أحمد عوض، مراجعة عبدالسلام رضوان، سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٩، نوفمبر.
- اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم: رشيد بلحبيب، ضمن كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي، الهويات إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط الأولى، بيروت ٢٠١٣.
- لسان حضارة القرآن: محمد الأوراغي، ط١، ٢٠١٠، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية: د.محمد عمارة، ط١، ١٩٩٩م، نهضة مصر للطباعة.

- المعرفي، الأيديولوجي، الشبكي، تقاطعات ورهانات: كمال عبداللطيف ٢٠١٢، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، الدوحة.
- النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت: آنلن هاو، ترجمة ثائر ذيب٢٠١٠، دار العين، المركز القومي للترجمة، مصر.
- نظام الخطاب: ميشال فوكو، ترجمة محمد ســبيلا، ط٢، ٢٠٠٧، دار التنوير، بيروت.

-la technique et la science comme idéologie J. Habermas, trad. Franc. J. R. Ladmiral, Paris, 1973.

-Lefevere 1992a; George Steiner 1975/1992;p:39.